

بحث عن وسائل الاعلام ودورها المعرفى ج2
للباحثة الدكتورة : وفاق حافظ بركع
كلية الاعلام – الجامعة العراقية

• **مزايا وسائل الاتصال الالكترونية الحديثة**

ان تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الراهنة بوسائلها الاتصالية لم تقض على التكنولوجيا القديمة بوسائلها المختلفة، بل انها شكلت امتداداً طبيعياً و تطويراً لهذه الوسائل القديمة. لذا فان الوسائل القديمة تحاول في توظيف التكنولوجيا الحديثة لصالحها والتعامل معها حيث اننا اليوم نتسطيع مشاهدة الصحافة الالكترونية و مواقع حية لبعض محطات التلفزيون والاذاعات من خلال شبكة الانترنت.

فبالرغم من ان الوسائل الاتصالية التي افرزتها التكنولوجيا الاتصالية الراهنة تكاد تتشابه في عدة سمات مع الوسائل التقليدية، الا ان هناك سمات مميزة لتكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية الحديثة باشكالها المختلفة مما يلقي بضلاله ويفرض تاثيراته على الوسائل الالكترونية الحديثة، التزامات ويؤدي الى تاثيرات معينة على الاتصال الانساني والمجتمع بشكل عام.

ومن ابرز هذه السمات:

اولاً: التفاعلية

هي سمة من سمات تكنولوجيا الاتصال الراهنة، ويكون فيها للمشاركين في عملية الاتصال تاثير على ادوار الاخرين وباستطاعتهم تبادلها، ويطلق على هذه الممارسة بالمبادلة او التفاعلية اذ يستطيع الفرد ان ياخذ فيها موقع الشخص ويقوم بافعاله الاتصالية، بمعنى اخر ان المراسل يستقبل ويرسل في آن واحد كذلك المستقبل ويطلق على القائمين بهذه العملية بـ (المشاركين) بدلاً من (مصدر او مستقبل) وبذلك تكون سير العملية الاتصالية باتجاهين من المرسل الى المستقبل والعكس صحيح وهذا ما يطلق عليه بـ (الاعلام التفاعلي).

وتتيح سمة التفاعلية لمتصفح الانترنت او مشاهدي القنوات الفضائية إمكانية لتحاو
المباشر مع مصممي الموقع او الدخول في حديث مع مقدم البرنامج وضيوفه وعرض ارائه
بشكل مباشر، وكذلك المشاركة في منتديات الحوار والمحادثة حول مواضيع تتناولها البرامج او
المواقع على شبكة الانترنت او التي يطرحها زوار المواقع نفسها، فضلاً عن كونها تفتح امكانية
التحكم بالمعلومات واختيار المواضيع والخدمات التي يرغب بها المشاهد او المتصفح كيف
يشاء ومتى اراد.

لقد ادت هذه السمة الى تضاعف قدرة الاشخاص والجماعات وحتالمؤسسات الى زيادة من
قدرة الذكاء الفردي والذكاء الجمعي نتيجة لما يسمى بالتزاوج (الانساني الآلي) الذي نراه متجسد
من خلال التبادل الدينامي الفوري الثنائي الاتجاه لرسائل المعلومات بين الانسان والآلة وبين
الانسان والانسان من خلال الآله.⁽¹⁾

ثانياً: اللاجماهيرية او الفردانية.

ان تكنولوجيا الاتصال الحديثة بوسائلها المتمثلة بالاقمار الصناعية والالياف الضوئية
ووصلات الميكرووييف والحاسبات الالكترونية. اتاحت عدد كبير من خدمات الاتصال مثل
التلفزيون منخفض القوة والتفاعلي، وخدمات الفيديو توكس، التليتكست والاتصال بقواعد البيانات،
المؤتمرات عن بعد، الوسائط المتعددة، الانترنت، وجميع هذه الوسائل تخاطب الفرد وتتوجه اليه
لتلبي بعض الحاجات الانسانية والرغبات الذاتية.

قد نتج عن ذلك ان الرسائل الاتصالية بامكانها ان تتوجه الى فرد او الى جماعة معينة
ولكونها لا تتوجه الى جماهير ضخمة كما في الماضي، بمعنى يمكننا القول ان عملية انتاج
الاتصال وتوزيعه اصبحت تميل الى مخاطبة جماهير اكثر تخصصاً، اذ اتجهت هذه الوسائل
الى تحويل المجتمع نحو الفردية من خلال توجيه رسائل تخاطب حاجات والرغبات الفردية،
فضلاً عن تقديمها لمواد اعلامية

(1) د. نبيل علي، تحديات عصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع¹⁸⁴ نيسان 1994م، ص 31 .

وترفيحية لا حصر لها. لذا نرى ان الاقبال متزايد من قبل الافراد على امتلاك مثل تلك الوسائل لإشباع رغباتهم الخاصة وحاجاتهم الذاتية، ونتيجة ذلك بدأت جماهير الوسائل الاتصالية تتفتت وازداد تحكم الافراد بالوسائل الحديثة بشكل شخصي وليس جماهيري.

فالالاتجاه الجديد للاتصال، وخصوصاً في الدول المتقدمة بدأ يتجه نحو (لا مركزية الاتصال)، حيث يحول مسؤولية اختيار البرامج والقنوات والمواقع من القائم بالاتصال الى المتلقي وبذلك يتحول المتلقي السلبي الى متلقي ايجابي فعال يخلق معلوماته الخاصة بنفسه.(2) وبذلك نمت هذه الوسائل عند المتلقي الفردية والذاتية.. اذ تمنح المستخدم لها قدرات على التحكم بضغط الازرار وبسرعة التنقل من موضوع الى اخر ومن موقع لأخر ومن شخص لعدة اشخاص، وفقاً لمزاج الفرد وتفكيره وارادته، كما ساهمت وفقاً لمزاج الفرد وتفكيره وارادته. كما ساهمت في اعطاء الفرد اعتداد بذاته وارضاء لفرديته ونرجسيته والانا التي تكمن بداخله من خلال امكانية ظهور اسم الفرد وعنوانه ورمزه الخاص على الشاشة سواء أكان على شاشات الانترنت أو التلفزيون.

ولهذه السمة ميزتان هما:

اولاً: ما يتعلق بالمستقبل، اذ ان بوفرة الخدمات والمعلومات يكون المتلقي قادراً على خلق الصحف والمجلات وبرامج التلفزيون التي يرغب في الاطلاع عليها او مشاهدتها وستكون لديه القدرة على الحصول على كل مواد المعرفة و الترفيه التي يرغب بها في أي وقت يشاء. ثانياً: ما يتعلق بالمرسل، اذ بإمكان المرسل معرفة جمهوره المتلقي من حيث طبيعته وخصائصه واهتماماته، وصولاً الى تحقيق الغاية الاتصالية في تلبية رغبات الفرد واحتياجاته في نشر المعلومات التي يستفاد منها بتنمية معرفه وتوسيع مداركته.

ومثلما لهذه السمة ميزات فلها عيوب منها:

1- تضيق اهتمامات الفرد، فبعدما كان الفرد يتعرض لما يرغب وما لا يرغب في وسائل الاتصال التقليدية والتي استطاعت ولو بشكل غير مباشر توسيع مداركه واقامة مما ضمه بعض المعارف عن ما يدور في العالم ويحقق اندماجاً في العالم ويحقق اندماجاً

(2) حسن عماد مكاي، تكنولوجيايات المعلومات والاتصال، مصدر سابق، ص356 وما بعدها.

اساسياً مع توجيهات الرأي العام، فقد تؤدي هذه السمة الى تجنب المعلومات او المعارف التي لا يرغب الفرد بمشاهدتها او الاطلاع عليها والتي لا تهمه او تقع ضمن اطار اهتماماته، وبالتالي سيكون من السهولة ان يتجنب الكثير من المواد التي تجعله يتزامن مع حركة المجتمع.

2- انقسام الجمهور العريض لوسائل الاتصال الجماهيرية الى جماعات صغيرة ذات اتجاهات متباينة نظراً لتنوع المعارف والتوجه الى التخصص ومخاطبة الفرد بدل من الجماعة.

3- تقليص الخبرات المشتركة التي تحققها وسائل الاتصال الجماهيري مع معظم افراد المجتمع ليحل محلها خبرات مشتركة مع افراد الطبقة الواحدة والمتجانسة التي تشترك بنفس الخصائص والاتجاهات. فبرامج الترفيه التي تقدمها نظم الاتصال الكابلي مثلاً يمكن ان تؤدي الى عزل افراد المجتمع عن التعرف لمعلومات اخرى لها اهمية وارتباط اكثر بحياتهم.

4- تقليص الخبرات المشتركة بين افراد الاسرة الواحدة، مما يؤدي الى صعوبة التفاهم والاشترك في القيم كنتيجة حتمية للتعامل الشخصي (الفردى) مع وسائل الاتصال الالكترونية الحديثة.

5- انتهاك خصوصية الفرد والتجسس على مجريات حياته، اذ تحول الانسان الى شريط مبرمج يخضع حركته لزر صغير في جهاز الكتروني معقد. فحرية اصبحت فريسة المراقبة الدقيقة واللصيقة من اجهزة التصنت وميكروفونات السمع والارسال واجهزة التسجيل وعدسات التصوير

والتلسكوب ودوائر التلفزيون حياة الفرد اصبحت تطاردها حملات رسائل الاتصال وتحطمها التمزقات الاجتماعية التي فجرتها سنوات المخترعات الحديثة لتكنولوجيا الاتصال صاحب السيطرة المطلقة على كل حركاته وسكناته.⁽³⁾ وبناء على ذلك، تحول الفرد من مستخدم ومشاهد فقط الى مشاهد ومستخدم ايجابي فعال يخلق معلوماته الخاصة وبرامجه التي يريد والوسيلة الجديدة تلبى تلك الحاجات بسهولة، وعندما يشعر الفرد هنا بانه يحصل على كل شيء يريده دون ان يكون في اطار الاجتماع والتكافل مع الاخرين، فانه يبدأ بالأنعزال تدريجياً عن المجتمع خصوصاً ان رسائل الاتصال تلك والادوات المعلوماتية تقدم له واقعاً اجتماعياً فرضياً يجتمع فيه الكترونياً مع الاخرين دون ان يكون هناك اي تواصل انساني حقيقي. وهذه العزلة تولد لدى الفرد اغتراب عن الواقع والمجتمع بشكل خاص فعصر المعرفة خلق واقعاً جديداً ادى الى اضعاف غريزة الميل للتواصل مع الاخرين لأن شاشة التلفزيون والكومبيوتر قد خلقت لدى الافراد وهم الاقتراب الزماني والمكاني من العالم الخارجي.

ثالثاً: اللاتزامنية

ونعني عدم الالتزام بالوقت في ارسال الرسائل الاتصالية وكذلك عند استقبالها فضلاً من انها لا تتطلب من جميع المشاركين استخدام النظام في الوقت نفسه. فالصحافة الالكترونية مثلاً على شبكة الانترنت تقدم خدماتها على مدار اليوم ويتم استقبال معلوماتها في اي وقت يشاء به المتلقي، وهذا ما ينطبق على البريد الالكتروني والبرامج للقنوات الفضائية من خلال التلفزيون الكابلي او التفاعلي. فعملية انتقال المعلومات والمعارف وأكتسابها من قبل الأفراد أصبحت لا يمكن أن تجد بزمن أو وقت معين فهي متوفرة لديه عبر الوسائل الاتصالية تلك في كل وقت ومتى يشاء.

(3) الثورة التكنولوجية ووسائل الاتصال العربية، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1991م، ص 90.

رابعاً: قابلية التحرك

معظم وسائل الاتصال الالكترونية الحديثة بالامكان نقلها من مكان الى آخر، فالهاتف الجوال والحواسيب الالكترونية الصغيرة (الجيب) او المحمولة والكاميرات الرقمية وغيرها من الوسائل يمكننا حملها والتنقل بها من مكان الى اخر مما سهل عملية الاتصال من اي مكان او بقعة في العالم فبامكان الفرد ان يتزود بالمعلومات ويطور معرفته بالاشياء وما يريد ان يعرفه حول الموضوعات والاحداث وهو في اي بقعة كان ومن اي مكان سواء في بيته او على سطح الباخرة او في متن الطائرة او جالس في القطار.

ومن الجدير بالذكر، ان هناك نقاط ساخنة معروفة باسم hotspots هي نظام الكتروني اتصالي حديث، يتيح للمسافرين استعمال الانترنت لأسلكياً وقد انتشرت هذه النقاط في العالم فبلغت اكثر من 56 الف نقطة بعضها مجاني والبعض الاخر برسوم وتعد لندن اكثر المدن المحتوية على تلك النقط في العالم تليها طوكيو ثم مدينة نيويورك وتقع باريس وسنغافورة وهونك كونج وبرلين وشيكاغو وسان فرانسيسكو على قائمة العشر الاوائل.⁽⁴⁾

خامساً: التحويل

ونقصد بهذه السمة قدرة الوسائل الاتصالية والمعلوماتية الحديثة على نقل المعلومات من وسط معين لأخر، فبالامكان من خلال استخدامات او تطبيقات وبرامج الحاسوب تحويل المادة المطبوعة على الشاشة الى مادة مطبوعة على الورق، وكذلك تحويل المادة المطبوعة باللغة العربية الى مادة مطبوعة باللغة الانكليزية، وتحويل الرسوم المتحركة الى افلام، او تحويل الفيلم الى صور فوتوغرافية وهكذا... وهذا بدوره سهل من عملية اكتساب المعرفة عبر الوسائل الاتصالية الحديثة تلك، من خلال استغلال تلك الامكانيات وتأثيرها على المتلقي بأساليبها المشوقة و الجذابة فضلاً عن سهولة الاستخدام.

(4) صحيفة الصباح الجديد، ع²⁷⁶، 14 نيسان، 2005م الصفحة الاخيرة ص 12.

سادساً: التوصيل

ونعني بها امكانية توصيل الاجهزة الاتصالية باجهزة اخرى متنوعة بغض النظر عن منشأ صنعها، ومثال ذلك امكانية توصيل الكمبيوتر بالهاتف او ربط جهاز التلفزيون بالكمبيوتر فضلاً عن اتصال الكمبيوترات مع بعضها البعض لتكوين شبكة وغير ذلك الهدف منها الاستفادة القصوى من المعلومات المنشورة في تلك الوسائل.

سابعاً: تعدي وتجاوز الحدود الجغرافية والقانونية

حيث استطاعت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة ان تتجاوز الحدود والانتقال الى خارج النطاق الجغرافي المحدد، الى نطاق اقليمي او عالمي، اذ بإمكانها ان تتوجه الى جماهير خارج الحدود لم تكن تستطيع تصل اليهم لولا التطورات التي حصلت في تكنولوجيا الوسائل الاتصالية والمعلوماتية خاصة من خلال ما يعرف بـ (فضاء المعلومات او الفضاء الرمزي-السيبري-). فضلاً عن كونها تتيح لنا الالتقاء بالآخرين وجهاً لوجه وهذه السمة تعتمد اساساً على (اتصل ولا تنتقل) مثل التعليم عن بعد، التطيب عن بعد، عقد المؤتمرات وغيرها.⁽⁵⁾

وكذلك تجاوزها للأطر القانونية المفروضة او السائدة في دول العالم حيث اصبح التحكم في ما تبثه تلك الوسائل من المسائل الصعبة سواء في مجال المعلوماتية والاتصال او القطاع السمعي والبصري. وكل المحاولات الرامية الى وضع مخططات للحد من تلك التجاوزات غير ملائمة او غير ذات جدوى.⁽⁶⁾

ثامناً: الكونية او العالمية- الانتشار-

ان السمة الغالبة لوسائل الاتصال الحديثة انها عالمية- دولية، بمعنى ان يبيتها الاساسية التي تعمل فيها هي- سماء العالم باسره- سواء كانت هذه الوسائل الحديثة تحقق انتشاراً عالمياً ودولياً او من حيث تتبعها للاحداث الدولية في كل بقعة من بقاع العالم.

(5) عاهد مسلم، اثار ثورة الاتصالات والمعلومات والاعلام، مصدر سابق، ص 30 .

(6) مي العبد الله سنو، الاتصال في عصر العولمة، الدور والتحديات الجديدة- بحث نظري ميداني- بيروت، دار النهضة العربية، ط2، 2001م، ص 83.

وتشير احدى الدراسات البريطانية حول مدى انتشار الوسائل الاتصالية ومدة انتشارها بين بني البشر، الى ان الراديو امضى 38 سنة قبل ان يصل الى (50) مليون نسمة من البشر، اما التلفزيون فقد احتاج الى 6 سنوات، والكمبيوتر وصل الى 50 مليون خلال 13 سنة، بينما وصلت الانترنت الى نفس النسبة خلال 5 سنوات، وهذا دليل على سرعة انتشار تلك الوسائل وقدرتها على الجذب والتاثير السريع.⁽⁷⁾ وبذلك توافرت لأول مرة وسيلة فعالة لسرعة النفاذ الى المعلومة وسرعة انتشارها ونشرها وتطيفها.

وليس هذا حسب، اذ ان انطلاق الثورة الالكترونية الجديدة المتمثلة بتقنيات صنع ونشر المعرفة والمعلومات في منتصف الخمسينات وتحديدأ مع مجئ الانترنت، اتاحت الفرصة للوصول الى المعلومات ووسائل اكتساب المعرفة، حيث تتيح هذه التقنيات لمستخدميها، بجانب بث النصوص المكتوبة والمواد الرقمية (كالموسيقى والصور) الوصول والعمل على نظم معرفية عن بعد (مثل التجريب عن بعد)، والدراسة عن بعد في اطار العلاقات الحوارية للمعلم/ الطالب (التعليم عن بعد) والحصول على مقادير هائلة من المعلومات - كنوع من مكتبة عالمية - متاحة لهؤلاء المستخدمين عن طريق حواسيبهم الشخصية.⁽⁸⁾

⁽⁷⁾ مقابلة مع د. ليلي الفنجري استاذ نظم المعلومات بجامعة حلوان (مصر) متوفر على شبكة الانترنت www.akhawat-islamway.com

View topic.php;topic تحت عنوان: الانترنت والدعوة.. فرص ذهبية مهدورة!!
⁽⁸⁾ بول أ. ديفيد ودومينيك فوراي، مقدمة في اقتصاد مجتمع المعرفة، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية (اليونسكو)، طبعت بالقاهرة، ع¹⁷¹⁷، مايو 2002م ، ص18.

• الوسائل الاتصالية الالكترونية الحديثة والوظيفة المعرفية

لقد لعبت وسائل الاتصال التقليدية منذ بداياتها دوراً مهماً في نقل المعرفة و نشرها و احياناً انتاجها. ومع التطور التقني والعلمي الذي رافق تلك الوسائل فقد فتحت الوسائل الاتصالية الالكترونية الحديثة متمثلة بالبريد المباشر عبر الاقمار الصناعية وشبكة الانترنت والوسائط المتعددة، الباب على مصراعيه لنقل المعارف ونشرها وتداولها. والحديث عن علاقة هذه الوسائل بنشر المعرفة امرأ قد يكون متشعباً ومعقداً نظراً لأختلاف المحددات التي تحكم طرفي المعادلة فالعالم يشهد اليوم تحولاً متسارعاً نحو الاقتصاد المبني على المعرفة، لذا فاننا لا يمكن ان نتخيل مجتمعاً معاصراً يعتمد على تداول المعارف والمعلومات دون ان يستخدم الوسائل الاتصالية الحديثة او الشبكات الرقمية.

فالهدف المنشود من وسائل الاتصال "هو الاسهام مع وسائط اخرى ومؤسسات مجتمعية عدة في عملية تنوير العقل البشري وترشيد القرارات البشرية،⁽⁹⁾ فالمعرفة الانسانية تشكل العنصر الاساسي في صنع الحركة التقدمية للامم وبناء التاريخ، لأن الانسان الذي يتلقى معارفه ومعلوماته من الوسائل الاتصالية، يتميزه التكويني يعتمد اساساً على التشكل المعرفي لبناء شخصيته واكتساب ثقافته ونموه العلمي لأشباع حاجاته المادية والمعنوية. اذ تمثل انتاجه الفكري واستنتاجاته العقلية وسيلة سلوكية للتعامل مع الواقع الخارجي وفهم المحيط الذي يعيشه لأكتساب المزيد من الخبرات والتجارب وايجاد حالة التأقلم مع الظروف الخارجية المحيطة به.

لذا نرى ان تطور الحياة البشرية اقترن بتطور المعارف وتقدم العلوم التي نقلتها وتداولتها الوسائل الاتصالية، حتى ان تطور التاريخ ذاته التصاعدي والنهضوي اعتمد على هذا المقياس ونشوء الحضارات الانسانية الكبيرة ابتداءً في الاساس من خلال التعامل المعرفي والتطور العلمي مع الواقع بواسطة تلك الوسائل، ومن هنا اصبحت قوة المجتمعات تقاس على قدر تعاملها المعرفي وتطورها العلمي والثقافي.

ان الفارق الرئيسي، بين المعرفة سابقاً بصورتها المطبوعة والمعرفة في وقتها الحالي بصورتها الالكترونية (الشبكية) هو ما يميز الاخيرة بعنصر التفاعل الدينامي بين المستخدم او

⁽⁹⁾ تقرير التنمية البشرية لعام 2003 م . مصدر سابق، ص 62.

المتلقي وبين مصدر المعرفة نفسه، فالكتاب او الصحيفة (المطبوع) كان يهدف الى نشر المعرفة. لكن الانترنت والوسائل الاتصالية الالكترونية الاخرى، تسعى الان ليس الى نشر المعرفة فقط، وانما الى توظيفها فعلياً.⁽¹⁰⁾

وعن طريق ما تنقله الوسائل الاتصالية وتنتشره، تثير كوامن المتلقي العقلية وتتحرك تفاعلات المعرفة والاستدلال وتتطور مع تطور الحياة، فلا يمكن للانسان ان يتطور وينمو في ظل سكون المعرفة وجمود العقل عن انتاجها لأن المعرفة متغيرة باستمرار وتأخذ شكل التراكم- اضافة ما هو جديد الى القديم- فاذا توقف الانسان عن اكتساب المعلومات والمعارف وابتعد عن عملية التواصل بينه وبين الوسيلة الاتصالية التي تعتبر من الوسائل الرئيسية لأكتساب المعرفة، يتوقف عقله عن التفاعل المعرفي مع تطور العالم الخارجي، وحينئذ يصبح عاجزاً عن اكتساب الخبرات ويفقد القدرة على ادراك ما حوله بشكل واعي وسليم. ولكي يحقق الاستمرارية عليه ان ينتج في نفس الوقت الذي يكتسب فيه المعرفة وذلك ما يعطيه القدرة على التواصل مع الاخرين.

وفي هذا الصدد يقول (فكتور سحاب) ان علماء الغرب يؤكدون ان اثر المؤسسات التقليدية في تكوين الفرد- وهي المدرسة والمؤسسة الدينية والعائلة- قد وهن وهناً شديداً فملأت وسائل الاعلام العامة فراغاً كبيراً ومساحة كبيرة من الزمن⁽¹¹⁾.

وتأسيساً على ماسبق، فان البيانات والمعلومات والمعارف التي تنقلها الوسائل الاتصالية وتنتشرها، تصبح العصب الحيوي الى جانب (التنشئة والتعليم وحركة الترجمة) في حركة الامم وتطورها باعتبارها منطلق الحاجة المعرفية، وذلك ان الحاجة المعرفية تبقى المحور الرئيسي في مصير الامم لأنها تشكل الرافد الذي يغذي الحاجات الاخرى وبجمودها ستكون تلك الامم اسيرة الامم القوية التي تملك سلاح المعرفة والعلم.*

(10) مجموعة باحثين، ندوة العرب والعولمة، مصدر سابق، ص 188.

(11) فكتور سحاب، أزمة الاعلام العربي الرسمي، بيروت، دار الوحدة، ط1، 1985م، ص 11- 12.

* في عدد اذار- نيسان عام 1996م مجلة (فرين اميترز) يقول الرئيس الامريكي السابق كلينتون ان المعرفة هي اكثر من اي وقت مضى سلطة. فالدولة التي ستتزعزع ثورة الاعلام هي التي ستكون قوية بين الدول على المدى

وفي ظل التطورات المتسارعة في تقانة وسائل الاتصال من خلال سرعتها وقدرتها على ايجاد التواصل بين البشر اينما كانوا، وضعتها في مقدمة الاوليات التي يكتسب منها الجمهور مادتهم المعرفية والثقافية والتعليمية، واصبحت تحل مكان العائلة والمدرسة والاصدقاء. وتكون مصدراً جديداً لإنتاج وصناعة القيم والرموز والذوق- انها تخلق تصوراتنا العقلية عن الواقع- فهي تحيط به من كل جانب وتسيطر على افكاره وتحركاته وفعالياته.

وبالرغم من ذلك فان الوسائل الاتصالية الالكترونية الحديثة باوضاعها الراهنة كماً ونوعاً تواجه معوقات نقل ونشر المعرفة خصوصاً في داخل المجتمعات النامية منها:

- النفاذ الى تلك الوسائل بالقدر الكافي.
 - مدى الانتفاع من المضامين المقدمة (نوع وكم).
 - عدم تحقيق المشاركة الفعالة في وسائل الاتصال كفاعلين ايجابيين وليس متلقين سلبيين.
- ان ثورة الاتصالات بوسائلها المختلفة من حيث التطور التقني الحاصل هي القوة الحالية والقادمة لجميع الدول. ومع دخول تلك الوسائل الالكترونية الحديثة كالانترنت والفضائيات والهواتف النقالة وغيرها، نرى الكم الهائل من المعلومات التي لا يستطيع المتلقي استيعابها ودراستها بشكل سليم، ولذا اصبح انتاج المعلومات واستغلالها بالشكل الصحيح احد عوامل نجاح وتقدم المجتمعات. حيث حولت الوسائل الاتصالية المعرفة الى قوة حقيقية فضلاً عن كونها من اهم عوامل الانتاج في العصر الراهن- فالعلم اليوم يعيش في حالة سباق لأكتساب اكبر قدر من المعرفة التي تقوده بالتالي الى النهوض والتقدم.

ولا تكمن خطورة هذه الثورة الجديدة من كونها مجرد حالة معرفية، بل على العكس من ذلك، فان التطور الاتصالي الذي اقترن بالتطور المعلوماتي اوجد حالة معرفية ايجابية يمكنها ان تساهم في تطور الحالة الانسانية والتعاونية لدى البشر بشكل عام بمعنى انها ساهمت بشكل كبير بالنهوض في التنمية الانسانية خصوصاً بعدما يتم توظيف الوسائل الاتصالية بشكل واع في عملية نقل ونشر المعرفة وحتى في انتاجها. لكن الخطورة هنا، فيمن يمتلك ادوات ووسائل

المنظور هذه الدولة هي الولايات المتحدة الامريكية، هذه السلطة اللامادية ستمكننا من التحكم في العلاقات الدولية بالجذب لا بالقوة.

هذه القوة ليحقق من خلال توظيفها، مآرب واهداف خاصة لنشر معلبات معرفية جاهزة وغسل عقول المتلقين للتحكم بهم واستغلالهم لأهداف سياسية او اقتصادية او ايدولوجية. فوسائل الاتصال هنا ستوظف ليس للنشر المعرفي والمعلوماتي ولكن سوف تستخدم لجعل المعرفة بحد ذاتها وسيلة للوصول الى غاياتها واهدافها ففوة الوسيلة هنا تتمثل في قدرتها على التحكم بالآخرين من خلال كونها مصدراً مهماً من مصادر تشكيلهم المعرفي. وهذا بالطبع مستمد من اهم وظيفة يمكن للوسائل الاتصالية تقديمها في عملية امداد الافراد بمعلومات متنوعة ومختلفة لمتابعة ما يجري من حولهم واتخاذ القرارات السليمة اتجاهها.⁽¹²⁾

وبمقدار ماتستطيع تلك الوسائل والادوات تحقيقية في عقل وسلوك الفرد، وثقافته تزداد قوتها وأهميتها لتصبح سلطة حقيقية في المجتمع، وليس من المستبعد ان تدخل دول العالم في حرب من خلال التطورات التقنية لوسائل الاتصال والمعلوماتية واستخداماتها، من اجل السيطرة على المعرفة والمعلوماتية كما حاربت في القرون الماضية من خلال نفس التكنولوجيا على الاراضي وتوسيع المستعمرات. فالدور الذي يلعبه ذلك الكم الهائل من المعلومات جعل من تقانة الاتصال باندماجها مع الادوات المعلوماتية، مصدراً أساسياً للقوة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية ولا يستطيع احداً انكار تأثيرهما الواضح في تشكيل رؤية الفرد ومعرفته نظراً لما احدثته وتحديثه من تغيرات ربما تكون حادة بعض الشيء في انماط السلوك والمعايير واسلوب التفكير.

فوسائل الاتصال، تؤثر في التكوين المعرفي للأفراد، من خلال عملية التعرض الطويلة المدى لوسائل الاعلام كمصادر للمعلومات والمعارف، حيث تؤثر تلك الوسائل في طريقة تفكيرنا واسلوب تقييمنا للاشياء من خلال ما نلقاه منها من معلومات. فالمعتقدات والقناعات التي يكونها الفرد حول القضايا والاحداث ما هي الا حصيلة المعرفة التي يكتسبها من هذه

(12) مجد الهاشمي، الاعلام الدولي والصحافة، مصدر سابق، ص32.

الوسائل. ففي كثير من الاحيان تقوم باجتثاث اصول معرفية لقضية ما وتحل اصول معرفية جديدة بدلاً عنها واحياناً اخرى ترسخ غيرها في فكر المتلقي.⁽¹³⁾

لذا نرى هناك اشارة واضحة في دستور اليونسكو الصادر من 16 نوفمبر 1945م في فقرته السادسة، الى ان اعضاء المنظمة يؤمنون باهمية تطوير وزيادة وسائل الاتصال بين شعوبهم وتوظيف هذه الوسائل لأغراض التفاهم والمعرفة التامة لبعضهم البعض، وذلك لتقنية التعاون لتحقيق المعرفة والتفاهم المشترك بين شعوب العالم باستخدام كل وسائل الاتصال الممكنة ودعم وتطوير نشر المعارف والمعلومات من خلال التعاون بين الامم في مجالات الانشطة الفكرية والثقافية.⁽¹⁴⁾

وقد اشارت الكاتبة الدنماركية (آنجامولر راسمون) في احدى مقالاتها⁽¹⁵⁾، بان لتقنيات الاتصالات والمعلومات والتي تعتبر - تقنيات تولدية وتحويلية- لها تاثيرات سلبية وايجابية على مختلف مجالات الحياة ومنها التنمية والمتمثلة بالتنمية الديمقراطية والاجتماعية" ان يصبح الجمهور قادرين من خلال حصولهم على المعلومات و المعارف على اتخاذ قرارات تتعلق بحياتهم وحقوقهم المدنية والاجتماعية والسياسية. وفي الاغناء الثقافي اذ تمر الثقافات بحالات مستمرة من التنمية والتغيير. وفي هذه العملية تؤدي هذه التغييرات الى مجموعة من التاثيرات الخارجية المرتبطة باللغة والدين الهوية المعرفية، ووسائل الاتصال ونظم المعلومات دوراً كبيراً في حفظ تلك الثقافات وتوفيرها وانفتاحها على الخارج وكذلك في البحث والتعليم كون الوسيلة الاتصالية الحديثة تعتبر جزءاً هاماً في النظم التربوية والتعليمية". وهي تؤكد على اهمية وجود بنية تحتية اتصالية ومعلوماتية تدعم تلك الانشطة والمجالات وتساهم في تيسيرها وتسريعها بما يعود الفائدة الى تطوير شخصية الفرد ونمط حياته داخل مجتمعة وهذا بالطبع لا يحدث الا اذا

(13) د. محمد بن عبد الرحمن الخصيف، كيف تؤثر وسائل الاعلام؟، الرياض، مكتبة العبيكان، 1994، ط1، ص32.

(14) د. بسيوني ابراهيم حمادة، القانون الدولي وحرية الاعلام الالكتروني، ابو ظبي، مجلة المستقبل، مركز الدراسات الاستراتيجية، يناير 2001م.

(15) انجا مولر راسمون، المعلومات والتنمية، مجلة infor ، عدد 1، 17، آذار، 2001م.

استثمر الانسان معارفه ووظفها في خدمته. وبما ان المعرفة هي التي تؤهل البشر لمواجهة عالم الواقع الشديد التعقيد والسريع التغيير وقدرة العقل البشري، وتمييزه على توليد معرفة كبيرة على اساس من معلومات قليلة، فما توفره الوسائل الاتصالية من محتوى معرفي ومعلوماتي قد لا يلبي الحاجة الاساسية للسواد الاعظم من السكان المحليين ولا يستجيب لواقعهم الذي يواجههم خصوصاً في البلدان النامية ومنها اقطار الوطن العربي وهناك عدة اسباب تعيق عملية اكتساب المعرفة خصوصاً في اقطار الوطن العربي، أوجزها الدكتور نبيل علي في كتابه تحديات عصر العولمة الى:

- 1- ارتباط المعرفة بتكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية مما يجعل عملية توظيف المعرفة وتوليدها مرتبطة ورهن مستوى التقدم التكنولوجي في البلد.
- 2- العلاقة بين توافر الديمقراطية وحرية التعبير في نفس الوقت قدرة المجتمع على استهلاك المعرفة وتوليدها.
- 3- تضخيم المادة التعليمية ضمن خطط الفلسفة التربوية القائمة على حساب مهارات التفكير والابداع والخلق الاساسية.
- 4- ضعف الطلب على المعرفة من قبل الحكومات ومؤسسات الدولة الانتاجية والخدمية.
- 5- عدم انكفاء روح البحث عن المعرفة وتنمية الدوافع لتوظيفها واقعياً من قبل الادارات المؤسسية.

فوسائل الاتصال هنا، ليس المحرك الاساسي للتغير في المجتمع بل هي عامل مهم في تكوين الاستيعاب العقلي او الوعي* لنظرة الانسان الى مجتمعه والعالم. فما ينقل ويبث وينشر عبر هذه الوسائل من رسائل اخبارية او ثقافية او ترفيهيه... الخ من الاشكال الاعلامية، يؤدي الى المساهمة في تكوين الحقيقة وليس في ادراكها حسب، فالوسيلة هنا هي التي تحدد لنا

* الوعي: ويتضمن الادراك الحسي والابتدائي والسيطرة على الحركة الطوعية الارادية كما يتضمن القدرات والعمليات العقلية العيا. ينظر: خليل ابراهيم البياتي، علم النفس الفسيولوجي، وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص 305.

المواضيع المهمة التي يتداولها الجمهور كما تحدد عواقبها وطرق معالجتها وبالتالي تؤثر على تفكير وتصرف الجماهير نفسها.

وفي الحقيقة ان الثورة الاتصالية وما لحقها من تطور على صعيد التقنية المعلوماتية لا تعتبر مقياس "للتقدم والتقدم" ما لم يؤدي استثمارها الى تحسين نوعية وعمق المواطن في مجتمعه⁽¹⁶⁾. فالفرد اصبح يحصل على كميات كبيرة من المعلومات والمعارف من خلال تلك الوسائل ويبحث في بعض الاحيان عن المعلومات بوعي خصوصاً تلك التي يحتاجها او التي تشكل فائدة بالنسبة اليه، وفي احيان اخرى يبحث الفرد عن المعلومة بدون وعي اذ ان استخدام معلومات الوسائل الاتصالية يحقق هدفين رئيسيين اولهما توجيه سلوك الفرد في العديد من الامور العامة مما يكون لديه مخزون من البناء المعرفي والمعلوماتي يستعين به عند مواجهة المواقف وثانيهما توجيه فهمنا حيث يستقي الفرد من وسائل الاتصال المعلومات التي تعكسها تلك الوسيلة وقد يكون العالم الذي تنقله حقيقي او افتراضي (غير حقيقي)، ولكنه يجعل المستقبل اكثر فهما لما يدور من حوله وليس ذلك حسب، وانما فهمه لنفسه واستكشاف الواقع الذي يدور فيه.⁽¹⁷⁾

ان انتشار الاطباق اللاقطة وتعدد المحطات والقنوات الفضائية وتنوعها، والانتشار الواسع لشبكة الانترنت وطرق الاتصال السريعة ودخول الهاتف المحمول عالم الاتصالات كلها قد ادت الى نمو متزايد وسريع في مصادر المعلومات لم يكن متاحاً في السنوات السابقة حيث غدت عين وآذان المستقبل غير قابلة للانسلاخ عن هذا المجال المعلوماتي والمعرفي المتعاضم يوماً بعد يوم. وحياة الفرد اصبحت عبارة عن سلسلة متصلة من الحلقات الاتصالية يبدؤها وينهيها في دائرة وسائل الاتصال وهي في كل الاحوال ليس لديه غنى عنها، انها باتت ترافق البشر اينما حل وفي اي وقت ولا مفر منها. فالاعلام كان قبل عقد ونيف من الزمان شأن

(16) د. نبيل دجاني، تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، ط1، ص 365 وما بعدها.

(17) حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1998، ص 81 وما بعدها.

داخلي وربما قومي، اما الان فنفضل الاقمار الصناعية والتقنية الحديثة اصبح اعلاماً عالمياً شاملاً ومتطوراً، واتضح سيطرة الاعلام في كسب الرأي العام في العديد من المواقف على الساحة الدولية، والذي يبين دوره الانبي والمتوفر في كل مكان في كيفية تاثير وسائله على تصور المتلقي وصياغة نمط تفكيره ورائه وبالتالي صناعة عقله⁽¹⁸⁾

فالثورة الاتصالية التي حدثت اواخر القرن الماضي وحسب تقدير العلماء زادت وسرعت من المعلومات وانتشار المعارف، اذ ان مجموع المعارف ابتداء من السنة الميلادي الصفر تضاعفت اول مرة سنة 1750 ثم سنة 1900م ثم سنة 1950 وبعدها سنة 1960م ليأخذ هذا التزايد بعد هذه السني بعداً غير مسبوق من تاريخ البشرية، ومعنى هذا ان العالم قد انتج من المعلومات خلال العقود الثلاثة الاخيرة ما لم ينتجه الـ (5000) سنة الماضية، وكذلك يعني ان قارئاً قادراً على قراءة (1000) كلمة في الدقيقة لمدة (8 ساعات) يومياً يحتاج الى شهر ونصف لقراءة انتاج يوم واحد في الوقت الذي يجد نفسه قد تاخر (5 سنوات) ونصف عن مواكبة انتاج المعرفة والمعلومات.⁽¹⁹⁾ اما في البلدان العربية، خلص تقرير التنمية الانسانية لعام 2003 الصادر عن برنامج الامم المتحدة الانمائي الى انه تعتري عمليات نشر المعرفة في البلدان العربية في مجالاتها المختلفة (التثنية والتعليم والاعلام والترجمة) صعوبات عديدة أهمها شح الامكانيات المتاحة للافراد والاسر والمؤسسات والتضييق على نشاطاتها اذا كان من نتائج ذلك قصور فاعلية هذه المجالات عن تهيئة المناخ المعرفي والمجتمعي اللازمين لانتاج المعرفة.

ومن هنا نرى، ان توظيف وسائل الاتصال في نشر المعلومات والمعارف على نطاق واسع والتعريف بقضايا لم يكن لها ان تداولها لولاها، فهي بذلك تخدم المعرفة بشكل عام، وان

(18) عن د. نجاح كاظم، العرب وعصر العولمة، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2002م، ص 76 و ص 158 ، للمزيد د. عمر عبد الرحيم، مبادئ الاتصال التربوي والانساني، عمان، دار وائل للنشر، 2002م، ص 326 وما بعدها.

(19) انطوان بطرس، المعلوماتية على مشارف القرن الحادي والعشرين، ص 22. وكذلك: للمزيد أنظر: محاضرة الدكتور يحيى اليحيائي، في الثورة الاعلامية والمعلوماتية المعاصرة، كلية الاداب والعلوم الانسانية، الرباط، 11 شباط، 1998م.

لم تساهم في انتاجها بشكل خاص بقدر تسريع دورتها شأنها في ذلك شأن الكتاب او المقال او الدراسة العلمية او اي اداة او اي وسيلة اتصالية اخرى.

